أبداً» (ص ٣٥٥).

ملاحظات عامة

يلاحظ المتتبع للسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية بعد نيكسون، خاصة خلال فترة الرئيس السابق رونالد ريغان، أن استنتاجات نيكسون، الواردة في كتابه الذي عرضناه، كانت حاضرة في معظم السلوك السياسي الأميركي، سواء في علاقات الولايات المتحدة بدول العالم الثالث، أو بحلفائها في العالم، أو في صراعها مع الاتحاد السوفياتي. ويبدو أن هذه الاستنتاجات، التي تكتسب في الكتاب صفة التعاليم، ستبقى موجّهاً ورشداً للرئيس الحالي بوش ومن قد يخلفه من الحزب الجمهوري، على الاقل حتى نهاية القرن العشرين، كما حدّد لها نيكسون في كتابه؛ اذ ان الجذر الأيدلوجي لهذه المدرسة السياسية واحد، وان تباينت تفاصيل الاتجاهات داخله.

والاتجاه الأيديولوجي الناظم للأفكار الواردة في الكتاب، ومن ثمّ الاستنتاجات المستخلصة من تجربة الكاتب الشخصية، ترتكز على ثنائية قطبية حادّة غير قابلة للتصالح (مانوية)؛ اذ رأى نيكسون أنه «قد يبدو أمراً ' ميلودراماتيكياً ' أن يعامل القطبان التوأم للخبرة الانسانية الممثلة بالولايات المتحدة، والاتحاد السوفياتي، كمعادل لفكرة الخير والشر، أو النور والظلام، أو الله والشيطان؛ ومع ذلك، فاذا ما سمحنا لأنفسنا أن نفكر بهما على هذا النحو، حتى ولو فرضياً، سيساعد ذلك على توضيح منظورنا على حلبة الصراع العالمي» (ص ٤٤٧). وحدّة هذه الثنائية تفترض، حسب منطقها الداخلي، انعدام أي نشاط، أو سلوك، انساني خارج قطبها. وفي الحالة التي أمامنا، موضوع الكتاب، يصبح أي نشاط سياسي لأي شعب من شعوب الكون امّا أنه سيصب في خانة السوفيات، أو أنه سيصبّ في خانة الأميركيين؛ وبالتالي، فان أي نشاط لا يصبّ في الخانة الأميركية هو، بالضرورة، نشاط معادٍ للولايات المتحدة، وبالتالي يجب عليها العمل ضده. وباعتبار أن منطقة الشرق الأوسط، ونحن معنيون بها، موضوعاً للصراع العالمي بين العملاقين، كما توضح صفحات الكتاب، يصبح فهم هذا النمط من التفكير الأميركي مهمّاً كي نتمكن من التعاطي معه.

والكتاب، عدا التعاليم والأفكار الواردة فيه، والتي حاولت قدر الامكان تكثيفها في سياق العرض، مليء بالمعلومات الهامّة المستقاة من مصادرها الأم، مصادر الرئيس الأميركي، ومن تجربته الشخصية، كشاهد عيان وكمركز قرار، اضافة الى الشواهد الكثيرة التي خبرها شخصياً، أو عاد الى مراجع تاريخية لتوضيح خلفياتها. ومع أن الكتاب، في محصلته، رؤيا بعين واحدة، فهو مرجع أساسي لفهم سياسة الولايات المتحدة الأميركية الخارجية خلال الفترة الزمنية السابقة؛ كما أنه أحد المراجع لاستيضاح توجّهاتها حتى بداية القرن المقبل.

أحمد شاهين